## المحاضرة الثامنة: أدب الرحلة القديم في المشرق والمغرب والأندلس

الرحلة في اللغة هي حركة انتقال الشخص، أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر فهي بمعنى الوجهة والمقصد والسير والتنقل والسفر.

وأدب الرحلة هو نوع من أنواع النثر. وجد في أدبنا العربي منذ القرن الثالث هجري، وتقوم موضوعاته على الرحلات ويُكتب بلغة أدبية خاصة .لها خصائصها التي تميزها عن التسجيلات الجغرافية التي تتصف بالأسلوب العلمي.

ويرى الإمام الغزالي السفر والرحلة: بأنها حركة مخالطة ،أو نوع من المخالطة مع زيادة تعب ومشقة، ويبين أن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلوا من هرب أو طلب. فإن المسافر يكون له مرجع عن مقامه. ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، وإما أن يكون له مقصد أو مطلب.[1]

إن الرحلة وجدت منذ أن وجد الإنسان منذ الأزل البعيد فكانت رحلة من أجل البحث عن الحياة والاستقرار الاجتماعي لدوام واستمرار الحياة .فكانت القبائل في العصر الجاهلي ترحل براحلتها من مكان إلى آخر إمّا بسبب الشعور بالأمن من الغزو الأجنبي أو عن البحث عن مظاهر الحياة من كلأ وماء. فكثير ما كان ينزلون أمام ينابيع الحياة وينصبون خيامهم.

ومع مجيء الإسلام نجد رحلة الإسراء والمعراج للنبي صلى الله عليه وسلم التي زودنا بها حول ما شاهده ووصف لنا تلك الليلة التي قضاها في إسرائه وأيضا نجد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة لنشر الدين الجديد، دين الحق والمساواة، الدين الإسلامي، وكذلك رحلة الشتاء والصيف تلك الرحلتين التجاريتين وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.

لكن لا ننفي أنه لم تكن هناك رحلات أخرى وهذا راجع لعدة أسباب منها: عدم انتشار الكتابة والتدوين حتى يأتي القرن الثالث الهجري لنجد أوّل رحلة لسلام الترجمان (227 هـ)إلى حصون جبال القوقاز عام( 227 هـ) بتكليف من الخليفة العباسي الواثق بالله للبحث عن سدّ يأجوج ومأجوج وكذلك رحلة التاجر سليمان السيرافي بحرًا إلى بحر المحيط الهندي ثمّ تأتي أيضًا رحلة المقدسي صاحب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "،والإدريسي الأندلسي في "نزهة المشتاق في اختيار الآفاق".[2] ورحلة البغدادي عبد اللطيف وابن وهب القرشي واليعقوبي بن موسى محمد.

وفي القرن الرابع والخامس تصادفنا رحلة المسعودي (ت 346) مؤلف "مروج الذهب" وتأتي رحلة قدامة بن جعفر وأبو زيد البلقي وابن حوقل، ثم نجد رحلة البيروني (ت 440 هـ) المسماة "تحقيق ما للهند من

---

[1] – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب دار صادر. بيروت. ط1، 112، ص 276-279.

[2] – فؤاد قنديل ، الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ط2، 1423 هـ-2002م، ص 43.

مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" نموذجًا فذًا مخالف لكل ما سلف ،إذ تعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسات ثقافات مجتمعات الهند قديمًا. ممثلة في لغاتها وعقائدها وعاداتها. يقارن فيه البيروني بين اللغة الهندية واللغة العربية على نحو جديد وقد مكث في الهند ما يقارب الأربعون سنة قضاها برفقة السلطان محمد الغزنوي[1] .ونجد أيضا في القرن الرّابع الهجري ابن فِضَلان أبو عبيد البكري.

ويعد القرن السادس الهجري وما يليه أكثر قرونا إنتاجًا لأدب الرحلات. هنا تُطالعنا رحلات بن جبير (ت 614 ه) الثلاث أولاها إلى الحج وثانيتها للشرق وقد ،استغرقت عامين (585 هـ-587 ه) والثالثة للمشرق أيضا قام بها وهو شيخ مسن أراد أن يتعزى عن فقد زوجته عام( 601 ه). ولم يعد بعدها للأندلس بلده، فمكث قرابة عشر سنوات متنقلا بين مكة وبين المقدس والقاهرة حتى توفى بها وسجل لنا مقاومة المسلمين للغزو الصليبي بزعامة نور الدين وصلاح الدين الأيوبي. كما وصف مظاهر الحياة في صقلية وبلاط النورمان في لغة أدبية وتصوير شائق. هذا فضلا عن وصفه مظاهر الرغد والحياة المزدهرة في مكة المكرمة. كما نجد رحلات كل من أبو بكر بن العربي. والإدريسي وأبو حامد الغرناطي في نفس القرن السادس[2]، أما من القرن السابع نجد البغدادي وياقوت الحموي وابن سعيد الأندلسي والعبدري.

وفي القرن الثامن نجد ابن بطوطة (ت 703 هـ-779ه) أعظم رحلة للمسلمين وقد بدأت رحلته( 723 ه) من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة وظل زهاء تسع وعشرين سنة يرحل من بلد إلى بلد ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته وذكرياته على الأديب والكاتب محمد بن جُزي الكَلبي بتكليف من سلطان المغرب أبي عِنان المريني . امتدت رحلته من المحيط الأطلسي غربًا إلى بحر الصين شرقًا.[3]

سمي ابن بطوطة رحلته "بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وروى مشاهداته لبلدان إفريقية وكان هو أوّل مكتشف لها. كما صوّر الكثير من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها. فالرحلة التي قام بها هي صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري من الإخاء بين الشعوب.

ونجد أيضا في نفس القرن (8 هـ) العلامة ابن خلدون (807 هـ) في رحلته غربًا وشرقًا وهو مزيج بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات، حيث وصف رحلته إلى بلاد الأندلس قدومًا من تونس إلى الجزائر ثم المغرب الذي قضى في سجنها سنوات ثم الأندلس منفيًا. ثم مصر التي أقام بها ربع قرن حتى توفي بها.

---

[1]- نفسه، ص 58.

[2]- عواطف بنت محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز ما بين القرنين السابع والثامن، دار عبد الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1429هـ-2008م، ص 419.

[3]- حسين محمد فيهم، أدب الرحلات. عالم المعرفة، الكويت. د.ط، 1990. ص 22/ 23.

ونجد أيضًا في الأندلس لسان الدين الخطيب (776 هـ) في كتابه "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف "لأديب غرناطة يصف لنا مشاهد هذين الرحلتين في الأندلس.[1]

## أسباب الرحلة:

تختلف الرحلات باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها غير أن هناك أغراضًا أخرى استدعت كتابتها بعد ذلك. فالرحالون لم يهتموا برحلاتهم إلا في القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي) واستمر التأليف فيها إلى أن أصبحت فنا أدبيًا مميزا حدده الباحثون حديثا وصنفوه ضمن أنماط السرد الذي يتخذ الرحلة موضوعًا له، لكن فريقًا آخر من الباحثين يرون أن لهذا الفن قيمتين: الأول قيمة علمية والأخرى فهو يتناول الكثير من نواحي الحياة الواقعية" إذا تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ الجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير[2]

وقد ذهب الرحالة المسلمون إلى أماكن كثيرة الأسباب شتى وبعضهم كان يدون رحلته ويسجلها قصة باقية عبر العصور فمن أسباب تدوين الرحلات :أن يطالب الحاكم من الرحالة تدوين الرحلة أو يطالب الأصدقاء ذلك. وقد تكون رغبة الرحالة أنفسهم في إفادة القراء وتثقيفهم بالجديد. ومن الأسباب أيضًا أن يهتدي المسافرين بهذه الرحلة المدونة. فتكون دليلا لهم. وكذلك لإبراز مناسك الحج والعمرة وإعانة المسلمين على معرفة الديار المقدسة وكيفية الوصول إليها والتجول فيها وتاريخ البلدان وحضارتها وشعوبها. وللتعرف الى لبلدان الغربية وأبرز معالمها وعجائبها وعاداتها وتقاليدها.[3]

## أنواع الرحلات:

**أ-الرحلات الوصفية:** وتشمل على الجوانب التاريخية القديمة والمعاصرة للرحلة والنواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقد اشترك في هذه النواحي جميع الرحالة ماعدا الرعيني وابن جابر الوادي اللذان نجدهما يخرجان لطلب العلم ثم يصفان جميع جوانبها.

**ب-الرحلات عن طريق البرامج:** كان الرحالة المغاربة والأندلسيون ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجول بين المراكز العلمية مثل الإسكندرية والقاهرة للقاء العلماء والأخذ عنهم وتسجيل أسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم وما أخذوه عنهم من كتب وإجازات. فمثلا نذكر ابن رشد فقد حرص على لقاء العلماء

---

[1]–نوال عبد الرحمن السوايكة، أدب الرحلات في الإسلام وأنواعها وآدابها. مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة ط1، 1992 ص96.

[2]– حسني محمود حسين. أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس بيروت. ط2، 1983. ص 45.

[3]– عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، د ط، 1415هـ/ 1995م ص 25.

والأخذ عنهم خاصة في ميدان رواية الحديث وما يتعلق به بالإضافة إلى ترجمة لعدد كبير من أهم العلماء المعروفين في البلدان التي زارها.[1]

## أهداف الرحلة:

**أ-أهداف دينية:** إن الحج لبيت الله الحرام يعد أسمى هدف وأشرف غاية ينشدها الرحالة المسلمون على مر العصور، فقد كانت ومازالت نقطة ومركز التجمع للمسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية وتعتبر صلة وصل بين العلماء والأقطار الإسلامية في شرق البلاد وغربها وكذلك سعوا في طلب العلم ولقاء العلماء ومحاورتهم والأخذ عنهم .

ب-الأهداف السياسية: مثل الريحاني الذي جاب فيها البلاد العربية في شبه الجزيرة العربية وقد قام بهذه الرحلة للتوفيق بين حكام العرب وخدمة الوحدة العربية.

**ج-الأهداف العلمية:** حيث حاول الرحالة تطبيق المعلومات التاريخية والتراثية والجغرافية على الطبيعة عبر الطرق التي سلوكها وأبدوا اهتماما بالغًا باستكشاف البلاد والقرى التي وقفوا عليها. كما اهتموا أيضا بأسماء الأماكن القديمة والحديثة وموقعها وأهميتها وأصولها ولغاتها ومعرفة الأبعاد بين البلاد التي يمر بها.[2]

## خصائص ومميزات الرحلة:

1-تنوع أسلوب الرحلة من السرد القصصي إلى الحوار وإلى الوصف وغيره .وأسلوبها يمتاز بالكتابة القصصية المعتمدة على السرد المشوق بما يقدمه الأديب من متعة ذهنية كبرى.[3]

2-الاعتماد على التجربة والاختبار لا على الرواية والنقل أحيانًا (بن جبير)،قام بقياس طول وعرض المسجد الحرام. وأما العبدري و التيجيني السبتي أثبتا نفس القياس كذلك الأرز قي وابن بطوطة.

3-موضوعاتها حول أداء فريضة الحج وطلب العلم والتجارة.

4-الوصف الجغرافي والعمراني (بحار. مجتمعات. آثار. جبال. صحراء. حصون مساجد، أحوال الجو. مدن، عادات وتقاليد البلدان...) وأيضا التطرق للبدع والشائعات المنتشرة وتصحيح ما يرونه من أخطاء شائعة وتسجيل الأحداث التاريخية المعاصرة.[4]

---

[1] – عبد الرحمن المنيع، الرحلات العربية مصدرها من مصادر التاريخ، دار الجوهرة الرياض د ط، 2010. ص34.

[2] – نفسه،ص 92.

[3] – شوقي ضيف، الرحلات. دار المعارف، كورنيش، النيل، القاهرة، ط4، 1991، ص 04.

[4] – عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، دار النشر والتوزيع، 1996، ص 88.

## المحاضرة التاسعة : فن الوصية في الأدب العربي القديم

الوصية في اللغة هي العهد والوعد والميثاق[1]، وهي من الوصل أو الاتصال ويتضمن هذا الاتصال المعنيين المادي والمعنوي. وهي على أية حال محاولة للاستمرار فهو ضد الانقطاع ،فهو اصطلاحًا أيضًا ايصال الخبرة ونقل التجربة ومد جسور المعرفة التي تتناقلها البشرية لتحقيق الخير لهم بشكل عام أيًا كان ميدان تلك الوصية. فالوصية تضمن اتصال السلوك السليم والرأي السديد عن طريق نقله للأجيال وعليه فالوصية تلتبس بالنصح والإرشاد والوعظ والحكمة.[2]

لقد عرف العرب الوصية في الجاهلية وقبل الجاهلية وهذا ما أدى إلى معرفتهم الكتب السماوية السابقة وتناقلوا مضامينها، ثم أن الشعوب والحضارات كانت تحتفل بالحكمة والحكماء وأصحاب الرأي والكهنة والسحرة.....فكانوا يلجئون إليهم أن استعصى عليهم أمر ما، وأولئك النفر كانوا يقدمون النصائح والوصايا للناس.

فكان الملوك والأمراء يوصون رعاياهم .وكان مماليك دول أوصوا حكامها أبناءهم بسلسلة من الوصايا. ومن تلك الوصايا وصية قحطان بن هود لأبنائه قبل موته.[3]

فكانت الوصايا في العصر الجاهلي متعددة تنتظم في شتى الأغراض من شؤون الحياة (الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الدينية والأخلاقية...).

فنجد وصايا أكثم بن صيفي الذي غاض في شتى مجالات الوصية مثل وصيته لكسرى ملك الروم حول الحكم والحياة ،حيث أن أكثم بن صيفي في كتابه وضع بابًا أسماه باب" الوصايا" كانت عبارة عن جمل قصيرة وحكم وأمثالٍ.

كما نجد وصايا لآخرين غير أكثم بن صيفي منهم قس بن ساعدة الأيادي الذي كان خطيب قومه وحكيمًا وحليمًا وشاعرًا. وأيضا هناك عدد من الوصايا التي صدرت عن الآباء لأبنائهم قبيل وفاتهم فذاك سعد العشيرة يوصي أبناءه عن مكارم الأخلاق. وأيضا وصية مالك بن المنذر البجلي لأبنائه ووصية عمرو بن الغوث بن طيء لولده، ووصية قيس بن يكرب لولده.

كذلك كان للنساء نصيب في الوصية مثلما نرى وصية أمامه بنت الحارث لابنتها يوم حملت إلى زوجها الحارث بن عمر[4].

لَمَّـــا احْتُضِـــرَ ذو الإِصْـــبَعِ دعـــا ابنَـــه أُسَـــيْدًا، فقـــال لـــه:

يا بُنَيَّ، إنَّ أباكَ قد فَنِيَ وهو حَيٌّ، وعاشَ حتى سَئِمَ العيشَ، وإنّي مُوْصِيكَ بِمَا إنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ في قومِكَ ما بَلَغْتُهُ، فاحْفَظْ

---

[1]- ابن منظور لسان الغرب م11، ص 412.

[2]- المفضل الضبي، المفضليات-تحقيق احمد شاكر هارون ،دار المعارف. القاهرة ط3، د.ت 384.

[3]- دعبل بن علي الخزاعي- وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، تحقيق نزار إباضة. دار صادر بيروت ط1 1997 ص177.

[4]- أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار أحياء الكتب العربية القاهرة، د ط، 1971، ص 122-125-123.

عَنِّـــــــــــــــــي:

أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَومِكَ يُحِبُّوكَ، وتَوَاضَعْ لهم يَرْفَعُوكَ، وابْسُطْ لهم وَجْهَك يُطِيْعُوكَ، ولا تَسْتَأْثِرْ عليهم بِشَيءٍ يُسَوِّدُوكَ، وأَكْرِمْ صِغَارَهم كما تُكْرِمُ كِبَارَهم يُكْرِمْكَ كِبَارُهم، ويَكْبُرُ على مَوَدَّتِك صِغَارُهُم، واسْمَحْ بِمَالِكَ، وَاحْمِ حَرِيْمَكَ، وأَعْزِزْ جَارَكَ، وأَعِنْ مَن اسْتَعَانَ بكَ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ، وأَسْرِعِ النَّهْضَةَ في الصَّرِيخِ؛ فإِنَّ لكَ أَجَلاً لا يَعْدُوكَ، وصُنْ وَجْهَكَ عن مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدَدُكَ.

ثم إن الشعراء أوصوا من فيض تجاربهم ونصحوا لأقوامهم وأصدقائهم وأهليهم فذاك لقمان بن يعمر الأيادي في قصيدة لقومه يوصيهم ويحذرهم من الغفلة من العدو و التجند للحرب.

وإذا كانت الوصية في العصر الجاهلي قد تبوأت منزلة مرموقة، فإنها قد بلغت أوجها وقفزت إلى الصدارة ببزوغ فجر الإسلام وازدهرت وتطورت حسب موضوعاتها: الإيخاء والمساواة والعدل وعلاقة العبد بربه والعلاقات الزوجية والمثل العليا وصلاح الدنيا والآخرة...

وأيضا نجد وصايا ما جاءت في نسيج الخطب وبعضها جاء مباشرًا في حين جاء بعضها الآخر غير مباشر يقدم في سياق القصص القرآني وضرب المثال فكانت وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم -لعموم المسلمين وجمهور الصحابة ورسله إلى الملوك والأقوام الأخرى وأوصى قادة السرايا، وأوصى المسلمين منظمًا بذلك شؤون حياتهم. وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقرأ عن قومه من الوحي ما نزل في باب الوصية مصداقًا لقوله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"[1] وأيضًا: "وبعهد الله أوفوا. ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون " وقوله"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"وفي الحديث الشريف "استوصوا بالنساء خيرًا". فكتب النبي-صلى الله عيه وسلم- إلى المهاجرين والأنصار و صية في الأخلاق وكذلك خطبة الوداع التي جمعت في طياتها عدّة وصايا للمسلمين. ونجد أيضًا نصائحه عليه الصلاة والسلام المرسلة إلى الأقوام ما أوصى به عيّاش بن أبي ربيعة[2] لما بعثه إلى بني عبد كلال وعدة وصايا من هذا القبيل.

وقد سار الخلفاء والصحابة -رضوان الله عليهم- على نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه- يوصي الصحابة في غير موضع موضحًا لهم سبل الرشد ،ومن ذلك كتابه إلى الأمراء في حروب الردّة[3]. وكذلك وصيته إلى الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- لما حضره الموت يستخلفه في خليفته ويذكره بتقوى الله والعمل الصالح، وذكر الفرائض والحق والباطل ويوم القيامة...كما أوصى عمر بن

[1]– نفسه، ص 122.

[2]– ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق التونجي، دار صادر، بيروت، مج1، ط1، 2001، ص 43.

[3]– الشيخ محمد الخضري، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط، د ت، ص 23، 24.، ص 122.

الخطاب -رضي الله عنه- قبل موته مخاطبا ابنه عبد الله بن عمر يريد منه أن يصل وصيته إلى الخليفة بعده. فيقول:[1]

أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأوّلين خيرًا؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيرًا، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء العدوّ، وجباة الفيء، لا تحمل منهم إلا عن فضلٍ منهم، وأوصيك بأهل البادية خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادّة الإسلام، وأن يؤخذ من حواشي أموالهم فَيُردَّ على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمّة خيرًا، أن تقاتل مَنْ وراءهم ولا تكلِّفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين طوعًا، أو عن يدٍ وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافة مقته أن يطَّلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرّغ لحوائجهم وثغورك، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن في ذلك بإذن الله سلامة قلبك، وحطًّا لوزرك، وخيرًا في عاقبة أمرك حتى تفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتك، ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتدّ في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس، وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحدٍ الرأفة، حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحقُّ، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

وإياك والمحاباة فيما ولّاك الله ممَّا أفاء على المؤمنين، فتجور، وتظلم، وتحرك نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلًا، وعفّة عمَّا بسط لك؛ اقترفت به إيمانًا، ورضوانًا، وإن غلبك الهوى؛ اقترفت به غضب الله، وأوصيك ألا ترخِّص لنفسك، ولا لغيرك في ظلم أهل الذمّة وقد أوصيتك، وخصصتك، ونصحتك فابتغِ بذلك وجه الله، والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالًّا عليه نفسي، وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك؛ أخذت منه نصيبًا وافرًا، وحظًّا وافيًا، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمّك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنك؛ يكن ذلك انتقاصًا، ورأيك فيه مدخولًا لأن الأهواء مشتركة، ورأس الخطيئة إبليس داع إلى كل مهلكة، وقد أضلَّ القرون السالفة قبلك، فأوردهم النار، وبئس الورد المورود! وبئس الثمن أن يكون حظّ امرئ موالاة لعدوّ الله، الداعي إلى معاصيه.
ثمَّ اركب الحق، وخُضْ إليه الغمرات، وكن واعظًا لنفسك، وأناشدك الله إلا ترحَّمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقَّرت عالمهم، ولا تضربهم؛ فيذلُّوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء، فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها، فتفقرهم، ولا تجمِّرهم في البعوث، فينقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفهم، هذه وصيَّتي إليك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام.

وقد سار خلفاء بني أمية على نهج الخلفاء الراشدين في الوصايا. فمعاوية بن أبي سفيان أوصى إبنه يزيد[2] لما شعر بدنو أجله فكانت وصيته سياسية حول الحكم فذكر حول من يتنازع معه حول الخلافة من الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير.فيقول:
يا **يزيد** أما إذا لم تصب الرشد فإني قد وطأت لك الأمور، وذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

[1] – المبرد أبو العباس، التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق ابراهيم الجمل، مراجعة محمود سالم نهضة مصر للطباعة والنشر ، د ط. دت، ص 155
[2] – نفسه، ص 139-140.

وقد أوصى عبد المالك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وكثير من الخلفاء بني أمية وأمرائهم وولاتهم[1]، وأوصى الأدباء والكتاب والشعراء وحملوا للناس من خبراتهم في أمور الحياة فابن قتيبة يوصي العلماء والأدباء "إذا أردت أن تكون عالمًا فاطلب فنًا واحدًا وإذا أردت أن تكون أديبًا فتفنن في العلوم"[2]

أيضا في العصر العباسي سار الولاّة والخلفاء والكتاب والأدباء فيه على نحو الأمويين في وصاياهم مثل ما نجده في وصايا الخليفة المنصور إلى ابنه المهدي[3] حول موضوع الخلافة بعده والسلطة قبل موته وهي وصية سياسية ينقل الخليفة لابنه خلاصة تجارية في شؤون الحكم وسياسة الرغبة، ويوصيه بكيفية التعامل مع الرعية والعمال ثم يذكره بعلاقته مع الله عزّ وجلّ والتعفف في أموال الخزينة والإنصاف في أحكام الشريعة ثم ذكّره بأحقية توليه الخلافة بعده.

قال المنصور لابنه المهدِيّ:

يا بُنَيّ، لا تُبْرِمْ أمرًا حتى تُفَكِّرَ فيه؛ فإنَّ فكرةَ العاقلِ مِرْآتُهُ تُرِيْهِ حَسَنَاتِهِ وسَيِّئَاتِهِ، واعلمْ أنَّ الخليفةَ لا يُصْلِحُه إلا التَّقْوى، والسلطانَ لا يُصْلِحُه إلاَّ الطاعةُ، والرَّعيةَ لا يُصْلِحُها إلاَّ العدلُ. وأولى الناسِ بالعفوِ أَقْدَرُهم على العقوبةِ، وأنقصُ الناسِ عقلاً مَن ظَلَمَ مَن هو دونَه.

وكان للشعراء والأدباء والنساك والوعاظ جملة من الوصايا والمواعظ تناولت جوانب الحياة من دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية... حيث برز من الشعراء أبي تمام وأبي العتاهية والمتنبي.

أما في العصر الأندلسي سارت الوصية على نظيرتها في المشرق العربي حيث جاءت متنوعة بشكل عام لتنقل عموم الخبرة الشخصية والعامة التي تحصلت لدى الموصي إلى الآخرين. فشرع الوصي يستنفر طاقاته اللغوية وإمكاناته المعرفية لينتج نصوصًا وعظية في المقام الأوّل أدبية في المقام . فكان من النوع الأوّل ديني الذي ينظم العلاقات بين العبد وخالقه وهو ينهل (النوع) من القرآن الكريم والسنة النبوية مرغبًا مرهبًا. وكان منها الاجتماعي الذي ينظم العلاقات الإنسانية العامة والخاصة. والتعاطي في شؤون الحياة ،وكان منها السياسي الذي ينظم علاقات السلاطين أولى الأمر برعيتهم من جانب وينظم علاقات الرعية بهم من جانب آخر ، على أن الوصية تتسع لأكثر من ذلك. إذ تأتي على الحديث في كثير من الموضوعات التربوية والأدبية والقضائية العامة والخاصة.

ففي الأندلس كثرت وصايا الشعراء على شكل مقطوعات أو قصائد كانت تنظم في غرض الوعظ والإرشاد وتوصي الناس بخلاصة تجربة الشاعر وخبرته، منهم عبد الكريم االقيسي وابن شُهيد الأندلسي وابن خفاجة ،ابن حمديس، ابن جبير، ابن هانئ الأندلسي، لسان الدين الخطيب... وكانت وصايا نثرية صادرة عن رجال

---

[1]- نفسه، ص 143-153.

[2]- نفسه، ص 359.

[3]- محمد بن جريرالطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج2، د ط، د ت، ص 344-345.

الدولة والحكام والأمراء منها وصية يوسف ابن تاشفين وأبي بكر بن القصيرة وابن سعد لسان الدين بن الخطيب... [1]

أوصى ابن شهيد الأندلسي صاحب «رسالة التوابع والزوابع» أن يكتب على قبره في لوح رخام: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» ( قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)، هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، المذنب، مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، مات في شهر كذا من عام كذا، ويكتب تحت هذا النثر، هذا النظم.«

## أنواعها:

**أ- الوصية الاجتماعية:** هي تلك الوصايا التي تتحدث عن أدب الحياة العامة والتعامل مع الآخرين والأصدقاء والأعداء والتعامل مع النساء وفي مخالطة الناس ومعاشرتهم والاعتماد على النفس.

**ب- الوصية الدينية:** وتتمثل في الحث عن الأمور الدنيوية والوعظ والإرشاد والنصح والتذكير بأهوال القيامة والتذكير بالموت والآخرة ،ولها جانب أخلاقي في المعاملات والعبادات.

**ج- الوصية السياسية:** وهي تتعلق بأمور وشؤون الدولة وتكون من خليفة إلى ابنه أو خليفة أو إلى عامة الناس يحث فيها عن أمور الحكم وشؤون الرعية والدعوة إلى استمرارية الحياة على نهج معين.

**د- الوصية الأدبية:** وتكون من نصيب الأدباء والكتاب والشعراء حول قضايا وظواهر أدبية، حيث قدموا حضارة تجاربهم وخلاصة خبراتهم ،خاصة الوصايا الشعرية منها وصايا الإمام علي -رضي الله عنه - والشافعي...

## خصائص الوصية:

- التأثر بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.
- الاستشهاد بالشعر.
- نقل تجربة وخبرة للآخرين.
- لغة الوصية تتنوع بين أسلوب النداء والاستفهام والنهي والأمر...
- الجنوح إلى الإيجاز بدل الإطناب من أجل التخفيف عن السامعين.
- جزالة العبارة ودقة اللفظ وإيصال المعاني.

[1]– أحمد بن محمد المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج6، د ط، د ت، ص 315..

## المحاضرة العاشرة: النثر الصوفي في الأدب العربي القديم

لقد كان لإقبال الناس على الدنيا ردّة فعل ظاهرة ،انقبض على إثرها بعضهم عن الدنيا مرّة واحدة فحدث اسم (زاهد) ثم نشأ أقوام تعلّقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردّوا بها وأخلاقًا تخلّقوا بها"[1] عرف أصحابها بالمتصوفة. ومن ثمة شاعت ظاهرة (التصوف) هذه.

أما سبب التسمية فقد كثرت فيه الأقاويل فادّعى بعضهم أنها نسبة إلى الصف الأول وقال آخرون أنها مأخوذة من رجل من العرب يسمّى (صوفة) انقطع للعبادة، بينما نسبها آخرون إلى أهل الصفة من فقراء الصحابة -رضوان الله عليهم- وقد رجّح الدكتور صابر طعيمة :أن أقرب نسبة اشتقت منها كلمة تصوف هي (الصّوف) على اعتبار أنه لباس الأنبياء .ومن سلك سبيل الزهد والتقشف من هؤلاء متبعًا في ذلك اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.[2]

وهكذا التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة[3]. ثم هو عند الصوفية أنفسهم" الطريق الذي يسلكه الزاهد ليصل إلى المحبة الإلهية والمعرفة الكاملة أللدنية التي عندها يفني خيال الوجود الشخصي في حقيقة الكائن الإلهي الشاملة لكلّ شيء.[4]

### الفرق بين الزهد والتصوف:

-غاية الزاهد يترك الدنيا طمعًا في الآخرة، أما المتصوف فيهدف إلى الاتصال بالله في هذه الدنيا.

-الزاهد يرهب خوف الله وبطشه، والصوفي يطمئن إلى رحمته ولطفه وكرمه.

---

[1]– جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي– تلبيس إبليس. مكتبة المتنبي. القاهرة دط .دت .ص161.

[2]– صابر طعيمة كتاب الصوفية معتقدًا وسلكًا. دار عالم الكتب الرياض ط2، 1985، ص 20– 21.

[3]–ابن خلدون المقدمة ص 467.

[4]– يوسف خليفة. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة. دار الكتاب العربي القاهرة مصر د ط 1967 ص 202.

-ويوضح ابن الجوزي الفرق بينهما "التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصد فيه على الزهد. بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه....[1] أما ابن عربي فيرى" أن الحياة الروحية تتضمن نوعين من المعرفة: أحدهما يتألف من الحقائق العقائدية وقواعد الأخلاق الدينية التي تبين للنفس معايير ما يجب عليها اعتقاده وعمله لعبادة الله، وبلوغ السعادة القصوى (الزهد) والثاني يتألف من مجموع التجارب التي تصل إليها النفس بنور الإيمان تبعًا لمقاماتها في المعرفة (التصوف).

**نشأته:**

لقد ظهر التصوف مع عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ يعتبر أول صوفي لأنه هو أول من أدخل الخلوة في غار حراء يتعبد فيه من ما علمه جبريل عليه السلام من وحي. فتلى ذلك كل من أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب- رضي الله عنهما- في طرقهما الصوفية. ثم أخذ عنهما من التابعين أفكارهما وسميت الطريقتين: بالبكرية والعلوية[2].

وانتصرت الشيعة بعد مقتل الإمام علي انتشارًا واسعًا ،وذلك في العصر الأموي وذهب كثير منهم في التحزب الشيعي.

وظهر الأدب الصوفي في القرن الثاني الهجري واستمر إلى يومنا هذا الذي نعيش فيه، وكان في ظهوره الأول فن علمي جديد سمي "فن المناقب" ،وقد ذاعت كتب المناقب ذيوعًا كبيرًا وهي تتعرض لمناقب الأولياء والصالحين من الصوفية وكثر التأليف فيها وخاصة كثر في عهدي المماليك والأتراك"

ونجد في القرن الثاني بأكمله. والخلافة العباسية في بغداد حيث كان التصوف قائمًا بذاته ولذاته وينهض بتقاليده الفنية والفكرية ليوصلها في أذهان الناس،وكان التصوف لمحات دالة منها : رابعة العدوية (185هـ) والخليفة عمر بن عبد العزيز والحسن البصري، وأول من سمي بالمتصوف أبو هاشم الصوفي (150هـ) حسب كتاب" كشف الفنون".

وفي القرن الثالث والرابع ازدهر وانتشر انتشارًا واسعًا باعتباره أدب يعبر عن روح الإسلام ويستمد منه من معان فلسفية وحكم غير عربية .ومن تأثر بالثقافات الدخيلة المترجمة إلى العربية حينًا آخر راجع إلى ثقافات الصوفيين التي تمخضوا بعطورها وإلى روح المتصوف وحده ،وليس لذلك من أثر في الأدب الصوفي إلا اتساع المعاني أمامه وتناوله لكل الأفكار القديمة والطريقة التي تسوغ له ذوقه أن يتناولها[3]

---

[1]- ابن الجوزي. صفة الصفوة، تحقيق محمود الفاخوري ومحمد رواس تلعجي، دار الوعي. حلب 1969. ص 4.

[2]- علي الخطيب. اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، القاهرة د ط 1404هـ.

[3]- نفسه ص 50.

فذي النون المصري كان صاحب ثقافة واسعة وإلمام بالفلسفة اليونانية خاصة الأفلاطونية الحديثة[1]. وكان أبو العتاهية يدعى العلم بفلسفة اليونان ،وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبحث ،ويحتجون بأن شعره إنما صرف إلى ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاني.[2]

وكان الحلاج (309هـ) يعرف بالكيمياء والطب وذا معرفة واسعة بالمسيحية واليهودية[3] والجيلاني كان يستعين بالفلسفة اليونانية بين الحين والحين في كتابه"الإنسان الكامل"[4]. وكما كان يفعل ابن عربي في الأخذ من الفلسفة اليونانية أيضًا."[5]

ونجد أيضًا أبو تراب عسكر بن الحسين النخشبي (245هـ) والحارث المحاسبي أبو سعد الخراز (227هـ) وأبو نصر عبد الله بن علي سراج الطوسي (338هـ). والشريف الرضى، وأبو حمزة الخراساني.

وفي القرنين الخامس والسادس اتجه الصوفي إلى الحب الإلهي ومدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- والشوق إلى الأماكن المقدسة والدعوة إلى الفضائل الإسلامية، وظهر هنا الأدب الصوفي الفارسي ونبغ من الفرس (معروف البلغي والبستي) .وظهر في القرنين من العرب أبو حامد الغزالي (505هـ) وأبو القاسم القشيري (465هـ) والحصري والسهروردي (587هـ) وعبد القادر الجيلاني وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي القرشي وعبد الرحيم البرعي (550هـ)

وفي القرن السابع نهض أدب التصوف ومثله ابن الفارض (632هـ) وجلال الدين الرومي ومحي الدين ابن عربي (638هـ) والبوصيري (695هـ) وابن عطاء الله السكندري (707هـ) وعفيف الدين التلمساني (610هـ ، 695هـ).

وفي القرن الثامن الهجري حتى اليوم نجد الشعراني (798هـ، 973هـ) والنابلسي.

## أعراض النثر الصوفي:

### أ-الرثاء:

أثرت عن الصوفية مراث بليغة رائعة تدل على روح ديني وذوق صوفي وإلهام عميق. وهناك مواقف للصوفية في الرثاء كثيرة ،ولم تر من اهتم بها من جمعوا المتخير في الرثاء.[6]

---

[1]- عبد الحكيم حسان، التصوف في الشهر العربي، دار المعارف القاهرة ط2، دت .ص330.

[2]- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني ج3، ص 29- 2.

[3]- علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين العلاج وابن عربي ص 50.

[4]- علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بن الحلاج وابن عربي، ص50.

[5]- محمود خرج العقدة، الأدب الصوفي مكتبة الملك فهد الوطنية دط. 1386هـ/ 1966 ص16.

[6]- علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي، بين الحلاج وابن عربي دار المعارف القاهرة ،دط، 1404هـ ص 54.

ونجد ابن السماك يرث داوود بن نصر الطائي (165هـ- 782هـ) مبينا زهادته في الدنيا وأنه عاش وقسا على نفسه، وأخذها بالشدة، وكبح جماحها وحبسها عن متع الحياة ولذائذها كي يطيب عيشه في الآخرة ،نرد مقطعًا من المرثية :"...يا داوود ما كنت تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيبه. ولا اللباس لينه بلى ولكن زهدت فيه لما بين يديك فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت. فلما مت شهرك ربك بموتك، وألبسك رداء عملك وأكثر تتبعك، فلو رأيت من حضرك عرفت أن ربك قد أكرمك وشرفك،فلتتكلم اليوم عشيرتك بكل ألسنتها فقد أوضح ربك فضلها بك".[1]

وكتب أيضا ابن السماك إلى الرشيد يعزيه بابن له فيقول في مرثيته إليه:" أما بعد فإن استطعت أن يكون شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه. فإنه حين قبضه أحرز لك هبته ولو سلم لم تسلم من فتنته ،أرأيت حزنك على ذهابه. وتلهفك لفراقه. أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت أنت معلقًا بالخطر، وأعلم أن المصيبة مصيبتان أن جزعت. وإنما هي واحدة أن صبرت. فلا تجمع الأمرين على نفسك" فهذه المرثية هي حكمة بالغة في ثوب نصيحة مبينًا أن الدار فانية وما فيها إلا إغواء والآخر خير منها. ثم هي وصية في الأخير بالتحلي بالصبر.

ولعمر بن ذر في رثاء ابنه كلمة في قوله: "مات ذر بن أبى ذر الهمداني من بني مرهبة ،يا ذر شغلني الحزن عليك ،اللهم أنك وعدتني بالصبر على ذر وصلواتك ،اللهم ورحمتك وقد وهبت ما جعلت لي من أجر على فقد ذر لذر. فلا تعرفه قبيحًا من عمله، اللهم قد وهب له إساءته إلي فهب إساءته إلى نفسه. فإنك أجود وأكرم فلما هم أن ينصرف عنه التفت إلى قبره فقال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك."[2]

**ب-الحكمة:**

هي فن من فنون الأدب العربي جاءت في ثوب نصيحة متمخضة عن تجارب في الحياة، بيد أن الصوفيين صبغوها بصبغة روحية وألبسوها ثوبًا قشبيًا من الورع والزهد والتقوى .ونجد حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري شهيرة معروفة ومنها نذكر:

-العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان.

-متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك. ومقبل بوجود لطفه عليك.

-إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه.

-رب عمرٍ اتسعت آماده، وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده.

---

[1]- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص 315- 316.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين. طبعه محي الدين الخطيب، مطبعة أبو الفتوح الأولية القاهرة، مصر، ج3، 1332هـ، ص75.

-الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له.

-من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة.

جاءت حكم ابن عطاء الله السكندري رسوما واضحة لحال السالكين وطريق المتصوفين الزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة مبينة أنه من الواجب على العبد الشكر لله تعالى والتسليم له في كل حال حيث هو المدبر لشؤون الخلق أجمعين وليس للعبد دخل منها سوى أن يذعن ويسلم.[1]

## ج-أدب الزهد في الدنيا:

كثر هذا اللون من الأدب في آداب الصوفية ومؤلفاتهم ونستطيع القول بأن هذا الأدب كان مقدمة وتمهيدا للتصوف الإسلامي حيث أن التصوف امتداد للزهد والإعراض عن مباهج الحياة والانصراف إلى الله تعالى بقلوبهم ونفوسهم.[2]

ويقول الإمام علي -رضي الله عنه-. "إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى ،لا يبصر مما وراءها شيئًا والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها. فالبصير منها شاخص. والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متردد، والأعمى بها متزود".[3]

ومن كلام الإمام علي -عليه السلام- في نعم صفة الدنيا:" ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء. في خلالها حسب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتِنَ ومن افتقر فيها حزن ومن سعى لها فاتته ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته".[4]

وينطلق المتصوف في تعبده من الحب الإلهي فيقول الحلاج:" عن جوهر الذات الإلهية هو الحب، فإنّ (الحق) أحب ذاته قبل الخلق في وحدته المطلقة، وبالحب تجلّى لنفسه بنفسه فلمّا أحبّ أن يرى ذلك الحبّ بعيدا عن الغيرية والثنوية في صورة مظاهره أخرج من العدم صورة من ذاته لها جميع صفاته وأسمائه فكانت هذه الصورة الإلهية آدام الذي تجلّى الحق فيه وبه"[5]

## د-آدب النصائح والوصايا:

وهو فن من الفنون النثرية الصوفية امتاز بالقوة في الألفاظ والمعاني يهدف إلى توجيه النصائح لما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته.

---

[1]- علي الخطيب الشطوري، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، ص55.

[2]- نفسه الصفحة نفسها.

[3]- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، مكتبة الأندلس ج1، ط1- 1374هـ- 1954م- ص27.

[4]-المرجع نفسه، ص158.

[5]- ينكلسون ريتوك آلن في التصوف الإسلامي وتاريخه ترجمة أبو العلا عفيفي ،لجنة التأليف والترجمة . القاهرة،دط .1969 ص 85.

ومن الذين برزوا في هذا الفن الحسن البصري- رضي الله عنه- الذي كتب إلى الخليفة محمد بن عبد العزيز، رضي الله عنه. لما تولى الخلافة يبين له صفة الإمام العادل ينصحه ويوصي "...والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسده بفساده والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إليه ويراهم، وينقاد على الله ويقودهم..."[1] تمتاز هذه الرسالة بجمال الأسلوب، وبلاغة المعنى ووضوحه وجزالة الألفاظ وقوتها ومتانة نسجها.

وكتب محي الدين بن عربي إلى السلطان الغالب بأمر الله ينصحه ويوجهه مذكرًا إياه بأنه صائر إلى ما صار إليه آباؤه وأجداده. يبين صفات الحاكم وعدم الاغترار بما مهد الله له من البلاد وسواها. ويقول:"...فاحذر أن أراك غدًا بين أئمة المسلمين من أخسر الناس أعمالاً الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ولا يكون شكرك لما أنعم الله عليك من استواء ملكك بكفران النعم...فأنصف المظلوم من الظالم... وتصل إلى الدار التي سافر إليها آباؤك وأجدادك..."[2]

ونجد نصيحة أخرى يوجهها أبو النصر الطائي إلى سليمان بن عبد المالك الخليفة الأموي فيقول:"سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى إنه قد اكتنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضوا بسخط ربهم. وخافوك في الله. ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا...فإن أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره".[3]

## هـ-المناجاة:

وهو الأدب الذي اخترعه الصوفية في مناجاة الله تبارك وتعالى وخطابه والتحدث إليه، وهو أدب يجذب العقول بجماله وبلاغته، وسحره، وروعته. كما أنه لون من ألوان النثر، نذكر من هذا النوع:

*قال ذو النون المصري:" إلهي عرفني عيوب نفسي، وأفضحها عندي لأتضرع إليك وابتهل بين يديك خاضعًا دليلاً في أن تغسلني منها، واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم تتجول في ملكوتك، وتتفكر في عجائب صنعك لترجع بفوائد معرفتك..."

*وقال معروف الكرخي في مناجاة رب العزة:" سيدي بك تقرب المقربون في الخلوات ولعظمك سبحت الحيتان في البحار الزافرات، ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات .أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار. والفلك الدوار. والبحر الزخار، والقمر النوار والنجم الزهار. وكل شيء عندك بمقدار لأنك العلي القهار."[4]

---

[1]- علي الخطيب اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج ابن عربي ص 57.

[2]-نفسه ص 58.

[3]- نفسه 59.

[4]- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب الوفي، دار غريب، د ط، 1905- ص 137-138.

*وقال ابن عطاء الله السكندري في المناجاة:"إلهي أنا الفقير في تحناني، فكيف لا أكون فقيرًا في فقري. إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولا في جهلي، إلهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك. إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منها بعد وجود ضعفي..."[1]

وللمناجاة ألوان في طلب المغفرة واعترافا بالعجز والحاجة إلى فيض رحمته وعظيم ثوابه منها:

و-**الدعاء:**

وهي الكلمات والجمل والدعوات التي يدعو بها العبد ربه طالبا رضاه والقرب منه. وتمتاز بمثانة الأسلوب وقوة الألفاظ ورصانة المعاني، نذكر ما ذكر عن أدعية النبي –صلى الله عليه سلم- منها:" اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نوار. وفي لساني نوار، اللهم اشرح لي صدري ويسر أمري، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".[2]

وهناك للدعاء ألوان منها:

ي-الاستعاذة:

وهي أدعية تبتدئ بكلمة (أعوذ) ومنها قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم-:" اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر، وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال". " اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك. ومن جميع سخطك".[3]

ر_ الاستغفار:

وهي تبتدأ (أستغفر الله) منها أدعية زين العابدين بن الحسين عليهما السلام منها:" اللهم بك قلبي ولساني. وبك نجائي وأماني وأنت العالم بسري وأعلاني. فأمت قلبي عن البغضاء. وأصمت لساني عن الفحشاء. وأخلص سريرتي وعلانيتي من علائق الأهواء. واكفني بأمانك عواقب الضراء وأجعل سري معقودا على مراقبتك وإعلاني موافقًا لطاعتك. وهب لي جسمًا روحانيًا وقلبا سماويا وهمة متصلة بك. ويقينًا صادقًا في حبكّ.[4]

**ز_- التسبيح:**

---

[1]- نفسه، ص 138-139.

[2]- البخاري ج3، ص 67

[3]- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار بن حزم القاهرة، 1963،د ط، ص 331.

[4]- ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء الزمان، دار صادر بيروت، ج1، 1972، ص 578.

تبدأ عادة بلفظ يدل على التسبيح والتنزيه يقول السهروردي في دعاء له: "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا من لا يشغله سمع عن سمع ،سبحانك إنك أنت المتجلي بنورك لعبادك في أطباق السموات".

**خصائص النثر الصوفي:**

- قوة العاطفة وصدقها اتجاه الحب الإلهي
- الإيمان المطلق بالله وبالإنسان الذي استعز بعزة الله.
- بلاغة وروعة وجلالة النثر الصوفي وسحره وشدة تأثره على النفوس بما اشتمل عليه من حكمة وصدق وحب وجمال.
- سمة وضوح أساليبه وجمال ألفاظه وسهولة التراكيب.
- الإطناب في الغالب لبعض المتصوفين منهم الغزالي.
- الاعتماد على الرمز الذي يكثر فيه الإشارات والتلويح.
- الإفراط في الكنايات والاستعارات والسجع والطباق بصفة خاصة.